تقنيّات الحِجاج في سورة الطارق

The Techniques of Argument in Surat AI-Tariq

د. وسن هاشم عودة

Dr. Wassan Hashem Odeh

المديريّة العامّة لتربيّة الرصافة الثّالثة

General Directorate of Education/Third Risafa

الملّخص

غايتنا في هذه الدراسة بيان ماهيّة الحجاج في الخطاب القرآنيّ في سورة الطارق وماهي تقنياته التأثيريّة والإقناعيّة في السّامع وإبراز مقصديّة الخطاب القرآنيّ وتوضيح غايته في السورة، وهي غايّة عامّة في الخطاب القرآنيّ تمثّلت في إثبات قضيّة الخلق والبعث التي طالما أنكرها الكفار المعاندون، وذلك بالحجج أو الأدلّة التي تخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم للتفكّر في آيات الله سبحانه وصنائع قدرته.

الكلمات المفتاحيّة: الحجاج، سورة الطارق، التقنيات الحجاجيّة.

Abstract

Our aim in this study is to clarify the nature of argument in the Qur'anic discourse in surat AI-Tariq and its effective and persuasive techniques for the listener, highlighting and clarifying the intention of the Qur'anic discourse. The intention of the discourse is to prove the issues of creation and resurrection that have always been denied by the stubborn infidels through arguments and proofs that brings people out from the darkness of ignorance to the light of knowledge to reflect on the signs of God Almighty and the wonders of His creation.

Keywords: Argument, Surat Al-Tariq, argumentative techniques

توطئة

إنّ الخطاب القرآنيّ خطاب حجاجيّ جاء ردّاً على خطابات وعقائد ومناهج فاسدة ولكونه خطاباً فهو يقتضي الإقناع والتأثير، والغايّة الكبرى التي جاء بها القرآن هي إصلاح الأمّة بأسرها، وإصلاح كفارها بدعوتهم إلى الإيمان وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم، وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طرق النجاة وتزكيّة نفوسهم، ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدّة الدعوة[1].

❖ **الحجاج:**

الدلالة اللغويّة:

جاء في لسان العرب أنّ أصل الحِجاج والمحاجّة من الحَجّ و (الحَجّ القصد، حَجّ إلينا فلان، أي قدم وحَجّه يحجُّه، قَصده، ورجل محجوج: أي مقصود، وقد حَجّ فلان فلاناً إذا أطال الاختلاف إليه)[2]، فهو هنا بمعنى القصد.

وكذلك جاء بمعنى البرهان، والتخاصم، والجدل، إذ ورد في لسان العرب أنّ (الحُجّة: البرهان، وقيل الحُجّة: ما دوفع به الخصم... والحُجّة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، والتَحَاجج: التخاصم، وجمع الحُجّة حِجج وحِجاج، وحاجّهُ محاجّةً وحجاجاً: نازعه الحجّة، والحُجّة: الدليل والبرهان، وهو رجل مِحجاج أي: جَدِل)[3].

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ابن عاشوراً الدار التونسية للنشر أ تونس لسنة ١٩٨٤أ ١/ ٨١.

(٢) لسان العرب: مادة (ح ج ج): ٢/ ٢٢٨.

(٣) لسان العرب: مادة(ح ج ج): ٢/ ٢٨٨.

أمّا معنى الحجاج الاصطلاحيّ في المعجمات الغربيّة، فقدّم الفيلسوف الفرنسيّ (آندريه لالاند) في معجمه معنيين للمُحاجّة أو الحِجاَج: الأوّل: سرد حجج تنزع كلّها إلى الخُلاصة ذاتها. والثّاني: طريقة عرض الحجج وترتيبها[١].

الدلالة الاصطلاحيّة:

يعدّ مفهوم الحجاج مفهوماً واسعاً ومن الصعب الإحاطة به؛ لأنّه يدخل في العلوم الفلسفيّة، والمنطقيّة، والبلاغيّة التقليديّة، وفي الدراسات القانونيّة، والمقاربات اللسانيّة، والنفسانيّة، والخطابيّة المعاصرة[٢]؛ لذا اختلفت تعريفات الحجاج من حقل معرفيّ إلى آخر بحسب العلوم التي يُوظّف الحجاج داخلها أساساً أو عرضاً، وعلى وفق قوامها الابستمولوجيّ (المعرفيّ) أو المنهجيّ، ولكنّ التعريفات كلّها، وكيفما كانت انطلاقاتها المعرفيّة وحقولها التجريبيّة يجمعها – في نهاية المطاف – خيط يربط بين قواعد المنهج الحجاجيّ وغايّاته، وهو خيط يجمع بين العقليّة والإقناعيّة في القضايا والأطروحات التي تساق حجاجيّاً، وهذا ما أدّى إلى مصداقيّة الحجاج ومشروعيّته، كلّما احتاج المقام أو محيطه إلى تسويغات استدلاليّة أو إجرائيّة على صعيد اللغة والخطاب[٣].

فالحجاج في مفهومه العام هو نشاط ثقافيّ في الإنتاج والتلقّي، وهو بذلك يكون نشاطاً للتفكير في كلّ ما هو قابل للنقاش والنظر من آراء وأفكار ومواضيع في إطار الاحترام المتبادل بين الثقافات والأفكار دونما تعصّب؛ لأنّه شكلٌ من أشكال التواصل، والتخاطب، والحوار[٤].

(١) موسوعة لالاند الفلسفية: ١/ ٩٤.

(٢) ينظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية: ص ٦.

(٣) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته: ٢/ ٢٤٠. وينظر: أُسلوب الاستفهام في القرآن الكريم – دراسة حجاجيّة–: ص١٠.

(٤) عندما نتواصل نغير: ص ١٢.

❖ **سورة الطارق:**

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ* النَّجْمُ الثَّاقِبُ* إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ* فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ* خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ* يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ* إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ* يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ* فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ* وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ* وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ* إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ* وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ* إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً* وَأَكِيدُ كَيْداً* فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً**﴾[1].

إنّ سورة الطارق مكيّة؛ فقد نزلت في مكة وعدد آياتها سبع عشرة آية، وقيل ست عشرة[2].

❖ **موضوع السورة:**

تتمحور موضوعات السورة في محورين:

❖ **الأوّل**: المعاد والقيامة.

❖ **الثّاني**: القرآن الكريم وأهميته القيّمة.

ابتدأت السورة بعدّة أقسام تحث على التأمل والتفكّر، ومن ثمّ تشير إلى المراقبين الإلهيين على الإنسان. وبعدها تنتقل إلى إثبات إمكانيّة المعاد من خلال الإشارة إلى الكيفيّة التي خلق الإنسان منها.

فالذي قَدَرَ على خلق الإنسان من نطفة قادر على إعادة إحيائه بعد موته، ثمّ بعد ذلك تعرض لنا السورة معالم المرحلة التاليّة بعد الموت، وذلك من خلال بيان بعض

(١) الطارق: ١-١٧.

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: محمد الآلوسي البغدادي أبو الفضل، طبعة دار الفكر ـ لبنان، ١٦/ ١٦٩، وينظر: البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، طبعة دار الفكر ١٤١٣هـ، ١٠/ ٤٤٩، وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٢٥٧. ومجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٤٧.

ملامح يوم القيامة، ثمّ تأتي بجملة أقسام تؤكّد أهميّة القرآن الكريم، ثمّ تُختم بإنذار من كفَر به بالعذاب الإلهيّ الأليم[1].

❖ **المعنى العام للسورة:**

يتّضح معنى السورة ومقاصدها من خلال معرفة أسباب نزولها، إذ إنّ الله سبحانه وتعالى ذكر في أخر سورة البروج- التي قبلها- أمر تكذيب الكفّار للقرآن في قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ* فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ* بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ* وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ* بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**﴾[2].

وعليه فإنّ الله سبحانه وتعالى (لّما ذكر فيما قبلها من تكذيب الكفّار للقرآن، نبّه هنا على حقارة الإنسان، ثمّ استطرد منه إلى أنّ هذا القرآن قول فصل جدّ، لا هزل فيه ولا باطل يأتيه، ثمّ أمر نبيّه ﷺ بإمهال الكفرة المكذّبين)[3].

وهي من أوائل ما نزل في القرآن الكريم؛ إذ ترتيب نزولها أنّها السادسة والثلاثون. وهي من السور (القسميّة) والمُقسم به فيها (نجم ثاقب) كما جاء في النظم القرآنيّ، أمّا المُقسم عليه، فهو وجود حافظ على كلّ نفس[4].

إنّ سورة الطارق بما تحمله من أدلّة أو حجج تمثّل قضيّة (الخلق أو المبدأ) و (البعث أو المعاد) وهي قضايا دار أغلب الخطاب القرآنيّ على إثباتها للناس كافّة. وتمثّل هذه الحجج دليلاً يثبت قدرة الله تعالى وتمكّنه في إيجاد الخلق من العدم في الحياة الدنيا، ومن ثمّ تكون دليلاً يؤكّد إمكانيّة الله تعالى لبعثهم من جديد في الحياة الآخرة، فالذي خلق

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٢٥٨أ ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٤٧أ وتفسير الأمثل: ٢٩/ ١٩٢.

(٢) البروج: ١٧-٢٢.

(٣) البحر المحيط: ١٠/ ٤٤٩.

(٤) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: ٤/ ٣٥٥.

الإنسان أوّل مرة قادر لا محالة على إعادته بعد الموت. ثمّ أدرجت الأدلة التي تبيّن وتؤكّد قدرة الله تعالى على تحقّق ذلك.

❖ التقنيات الحجاجيّة في سورة الطارق:

اتخّذ القرآن الكريم مختلف التقنيات الحجاجيّة في إثبات وحدانيّة الله تعالى وقدرته، ودفع الناس إلى الإيمان به وطاعته. فكانت آياته في الكون والنفس منافذ للإقناع والتّسلّيم، فحثّ الإنسان إلى إعمال عقله والتدبّر في هذه الأدلّة الكونيّة، فيستقر الإيمان في قلبه ويخلص العبادة لخالقه.

وحتّى نعرف طبيعة الآليات الحجاجيّة التي استند إليها الخطاب القرآنيّ في هذه السورة وجب علينا معرفة سبب نزولها، فهذه السورة جاءت ردّاً على تكذيب الكافرين لقضيّة حفظ القرآن فيما جاء ذكره في سورة البروج التي سبقتها في النزول؛ إذ (تقدّم في آخر البروج أنّ القرآن في لوح محفوظ؛ لأنّ منزله مُحاط بالجنود من المعاندين، وقبل كلّ شيء، أخبر أنّ من إحاطته حفظ كلّ فرد من جميع الخلائق المخالفين والموافقين؛ ليجازى الإنسان على أعماله يوم إحقاق الحقائق، فقال مُقسماً على ذلك لإنكارهم له: (والسماء))[1].

وبما أنّ سورة الطارق كانت ردّاً من الله على الكفّار المكذّبين للقرآن، استند الخطاب القرآنيّ فيها على تقنيّة التوكيد الحجاجيّة في جميع آياتها القرآنيّة؛ لأنّ أسباب نزول هذه الآيات كان قائماً على مبدأ (العرض والاعتراض) و (هو قطب الرحى في المقام الحجاجيّ التبادليّ بين أطراف المتحاجيّن)[2].

(١) نظم الدّر: ٨/ ٣٨٥.

(٢) الدفاع عن الأفكار – تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري: ص١٨٢.

ففي هذا المبدأ (ينفرد العارض ببناء معرفة نظريّة، سالكاً في البناء طرقاً مخصوصة يعتقد أنّها مُلزمة للمعروض عليه... حيث إنّ العارض يعتقد صدق ما يُعرض، ويُلزم المعروض عليه بتصديق عرضه)[١].

ونظراً لكون سورة الطارق ردّاً على أقوال الكفّار المكذّبين، وتعدّ هذه الخاصيّة هي الركيزة الأساس في خصائص الاعتراض في الخطاب الحجاجيّ، فهو (فعل استجابي- لا ابتدائي – إذ يصدر من صاحبه كرّد فعل على قول خصمه، وأنّه فعل إدباريّ- لا إقباليّ – حيث يتجه إلى ما سبق من الكلام لا إلى ما يأتي منه...، وأنّه فعل تشكيكيّ، إذ يراجع المعترض خصمه في دعواه بمطالبته بالتدليل، أو إبطال دليله)[٢]. وحتّى يدفع الشكّ ويرفع إنكار الكافرين افتتحت السورة بأهمّ أنواع التوكيد الحجاجيّة وهو التوكيد بالقسم؛ تحققٌ لِمَا يُقسم عليه، وتشويق إليه، وقد وقع القَسمُ بمخلوقين عظيمين دلالة على عظيم قدرة خالقهما وهما: السماء ونجم عظيم معروف[٣].

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[٤]، فأقسم الله تعالى بالسماء؛ لأنّها مُعظّمة في أعيُن الخلق، لكونها معدن رزقهم، ومسكن ملائكته، وفيها خلق الجنّة، فأقسم بها، ثمّ أقسم بالطارق[٥]، والمراد به: النجم الذي يطرق ليلاً؛ لأنّ البيوت عادة ما تغلق أبوابها ليلاً، فكلّ قادم في الحال هذه يلزمه طرق الباب[٦].

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ص ٣٨-٣٩.
(٢) المصدر نفسه: ص ٤٣.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير:٣٠/ ٢٥٨.
(٤) الطارق: ١.
(٥) ينظر: روح المعاني:١٦/ ١٦٩.
(٦) ينظر: تفسير الطبري:٥/ ١٧٧أ وتفسير الأمثل:٢٩/ ١٩٣أ وتفسير الكشّاف:٣/ ٥٥١.

وتكمن قيمة القَسم الحجاجيّة في كونه من آليات توكيد الخبر الذي يأتي القَسم لأجله، فقد قال عنه سيبويه:(اعلم أنّ القَسم توكيد لكلامك)[١]، وكذلك قال عنه ابن جني: (اعلم أنّ القسم ضرب من الخبر يُذكر ليؤكّد به خبر آخر)[٢]. فالقسم (جملة جيء بها لتوكيد جملة خبريّة أُخرى تالية غير تعجبيّة)[٣].

وعليه فهو فعل حجاجيّ غايته توثيق الخبر الذي جاء في سياقه وتمكّنه في نفس السّامع أو المخاطّب، فـ(القسم مُندرج بضمن ما يسمّيه سيرل (درجة الشدّة للغرض المتضمّن في القول)، فهو إذن تأكيد ويندرج ضمن (التقريرات)[٤]؛ لذلك أقسم الله تعالى بالسّماء لِما لها من الشرف والمجد، لتنبيه السّامع إلى ما فيها من بدائع الصُنع التي تؤكّد عظمة قدرة الله تعالى وجلال صنعه.

ثمّ زاد في التنبيه والتأكيد بصنع آخر أعجب منه، فأقسم بالطارق ليشدّ الأذهان إلى الموصوف الذي أقسم به، وهو النجم الذي يطرق ليلاً[٥].

ثمّ أعقبها بحجّة تبيّن ذلك الموصوف بوساطة الرابط الحجاجي (الواو) وهي من أهمّ الآليات التي تحقّق الوظيفة الحِجاجيّة والتواصليّة للخطاب[٦]؛ وذلك بترتيبها للحجج ووصل بعضها ببعض، ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصّل مواضع الحجج، بل تقوّي كلّ حجّة منها الأُخرى[٧]، (فهي تربط بين القضايا التي لها معنى دلالي معين، لكنّها متفاوتة في قوّة تأثيرها بالنتيجة المعطاة، فتأتي (الواو) العاطفة؛ لتربط بين تلك القضايا ارتباط اللاحق بالسابق، وهي كما تأتي مدرجة للحجج؛ لتقويتها،

(١) الكتاب: ٣/ ١٠٤.
(٢) اللمع: ص ٢٤١.
(٣) شرح كتاب الحدود في النحو: للفاكهي ص ٢٩٧.
(٤) التداولية عند العرب: ص ٢٠٩.
(٥) ينظر: تاج العروس:٢٦/ ٦٦(طرق)ومجمع البيان في تفسيرالقرآن:١٠/ ٢٤٩.
(٦) ينظر: مقاربة تداولية لحكمة عطائية(بحث):عز الدين الناجح مجلة الخطاب:ص ٣٣.
(٧) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ص٤٧٢.

فكذلك تأتي مُدرجة للنتائج، وهكذا يكون توجيهها حجاجيّاً؛ من أجل تحقّق الإقناع)[1].

وقد جاءت مقترنة بالسؤال؛ لِما له من قوّة حجاجيّة في التّفاعل بين المتكّلم والسّامع وإشراك الأخير في الوصول إلى الجواب بنفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ**﴾[2]، فالاستفهام هنا للتفخيم والتعظيم، أي: وما أشعركم ما الطارق الذي أقسمت به وما حقيقته[3]؟ فأيّ نجم هو الطارق؟ هل هو الثريا، أم زحل، أم الزهرة، أم الشُهب لِما لها من نور جذاب يسحر العيون، أم النجوم جميعا؟ فهنا احتمالات متباينة في ماهية النجم. فيأتي الجواب ليُبيّن ماهيته بقوله تعالى: ﴿**النَّجْمُ الثَّاقِبُ**﴾[4]، فوجود صفة (الثاقب) لهذا النجم أعطت الإشارة إلى أنّها الشُهب المتلألئة التي تثقب أنوارها ظلمة الليل، وتجذب الأنظار إليها، فهي المراد إذن وليس كلّ نجم[5].

ويُفسّر معناه بالنجم المضيء[6]، وقيل: (الثاقب: في الأصل الخارق، ثمّ صار بمعنى المضيء؛ لتصوّر أنّه يثقب الظلام، وقد يخصّ بالنجوم والشهب لذلك، وتصوّر أنّها ينفذ ضوؤها في الأفلاك ونحوها. وقال الفراء: الثاقب: المرتفع، يقال ثقب الطائر أي: أرتفع وعلا)[7]، فالنجم الثاقب أي: النجم الذي يثقب الظلام بضيائه[8].

---

(١) الحجاج في تحف العقول: ص١٠٠.

(٢) الطارق:٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري:٥/ ١٧٧.

(٤) الطارق:٣.

(٥) ينظر: تفسير الأمثل:٢٩/ ١٩٤. وتفسير روح البيان:١٠/ ٣٩٧. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٤٩.

(٦) ينظر: الصحاح في اللغة: ٣/ ٢١٩أوتاج العروس:٢/ ١٠٠.

(٧) معاني القرآن للفرّاء: ٣/ ٢٥٤أروح المعاني:١٦/ ١٧٠.

(٨) ينظر: تفسير الطبري: ٥/ ١٧٧. وصفوة التفاسير: ٣/ ٥٤٤.

فأراد الله سبحانه وتعالى بقسمه بالنجم الثاقب تعظيماً له؛ لِما فيه من عجائب القدرة ولطائف الحكمة[1]، وحتى يزيد من التأكيد والتنبيه على عظمة هذا النجم جاء بصفة مشتركة بينه وبين غيره وهو (الطارق). ومجيء الجواب جملة أسميّة هو لغايّة حجاجيّة عظيمة الأثر في إثبات تحقّق تلاشي الظلام بضوء هذا النجم.

فاستعمال الخطاب القرآنيّ للتعبير عن هذا النجم بـ(الطارق، والثاقب) وهي أوصاف لذلك النجم الذي أقسم به الله تعالى، فصرّح الخطاب القرآنيّ بالصفة دون ذكر الموصوف لغايّة حجاجيّة، فالوصف (إنشاء يراد به إعطاء صورة ذهنيّة عن مشهد أو شخص أو إحساس أو زمان للقارئ أو المستمع)[2]. لذا أراد الخطاب القرآنيّ إعطاء صورة خاصّة في ذهن السّامع أو المخاطّب عن ذلك النجم؛ لِما لها من تأثير في تحريك تنبيه فكره وتحريك إحساسه معاً، فالوصف له وظيفة حجاجيّة تتمثّل في تحقّق مقصد المتكّلم من العمليّة التواصليّة النفعيّة، فهو يوضّح ويدقّق ويعرّف؛ لذا يُعدّ وسيلة مهمة من وسائل التأثير والإقناع[3].

فـ(الطارق والثاقب) صفات تحمل قوّة إقناعيّة خدمت الغايّة التي يريد الخطاب القرآنيّ إيصالها إلى ذهن وعقل وقلب هؤلاء الكفّار، وبهذا فهي فعل حجاجيّ شدّ انتباههم ووجههم إلى عظمة هذا النجم وسطوته وما يمكن أن يفعله، وهي عظمة تأخذهم إلى التنبّه والإدراك لعظمة صانعه وخالقه سبحانه.

ومن ثمّ تجعله يدرك أن هناك أمراً عظيماً وحدثاً مهماً أقسم عليه، فتدفعهم للبحث عن هذا الأمر الذي جاء القسم العظيم لأجله. وهو ما جاء في جملة جواب القسم في

(١) ينظر: تفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥١.

(٢) الوصف في النصّ السردي: ص ٥.

(٣) ينظر: أسلوبية الوصف والحوار: ص٣١ أ الحجاج مفهومه ومجالاته: ١/ ٨٧ أ والوصفية مفهومها ونظامها في النظريات اللسانية: ص ٣٠٤.

قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[1]، وهي جملة مؤكّدة لسابقتها، فبعد أن ذكر الله تعالى المُقسم به (السّماء والطارق) أتبعه بذكر المُقسم عليه[2].

أي: كلّ نفس عليها حافظ من ربّها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشرّ ليوم الحساب[3]. فإنّ غاية القسم الحجاجيّة هنا جعل قضية الحفظ لكلّ أعمال الإنسان وأفعاله حقيقة تؤكّد وترسخ قضيّة حفظ الله للقرآن التي هي محل الخلاف.

وعليه فالقسم من أهمّ الموجهات اليقينيّة للإثبات، فهو إذ يثبت القضية ويوجهها ويُقيم في الوقت نفسه الحجّة على المخاطَب ويُلزمه بها[4]. وليس ذلك فحسب إذ إنّ الخطاب القرآنيّ أقسم بالسّماء والنجم وهي حقيقة ثابتة مُسلّم بها عند العرب وتعجب له وتستعظمه؛ لذا جعله آليّة حجاجيّة يستند عليها ليقيم البرهان على صحّة قضية البعث التي يُخبرهم بها فيوجههم توجيهاً إقناعيّاً مخصوصاً إلى درجة قد يحدث معها الالتباس في إذهان هؤلاء السّامعين من الكفّار[5].

وأكّد ذلك بالمؤكّد (إنّ) لقطع الشكّ في نفوس هؤلاء الكفار أو السّامعين عامّة، فحرف التوكيد (إنّ): تُعدّ الأصل في توكيد الجملة الخبريّة، وتنماز بأنّها تربط الجملة الثانيّة بالأوّلى، وبسببها يحصل التأليف بينهما حتّى كأنّ الكلامين قد أُفرغا إفراغاً واحداً، ولو أسقطتها ظهر التنافر بينهما وبطلت الملاءمة[6].

(١) الطارق: ٤.

(٢) ينظر: تفسير الرازي:١٦/ ١٢٧.

(٣) ينظر: تفسير البغوي:٥/ ٢٣٩أ وروح المعاني:١٦/ ١٧٢أ وتفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥١. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٤٩.

(٤) ينظر: الحجاج في القرآن: ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ص ٣٢٤.

(٦) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الاعجاز:٢/ ١٧٦.

وليس ذلك فحسب، بل ذكر الصفة دون الموصوف أيضاً، فـ(الحافظ) صفة، والصفة في حقيقتها (تمثل جانباً في الفعل الحجاجيّ وعلامة عليه، فلا يقتصر المخاطِب على توظيف معناها المعجميّ أو تأويله. وهذا ما يعطيها الطواعية والمرونة التي هي من صلب خصائص الخطاب الطبيعيّ في الممارسة الحجاجيّة)[1].

فبعد أن أقسم الله سبحانه وتعالى بـ(النجم الثاقب) ونبّه الكفّار إلى معرفة ذلك الأمر العظيم الذي أقسم عليه، وهو هناك حافظ لكلّ ما على النفس من أفعال وأعمال، فهو لم يُصرّح بمن هو ذلك الحافظ، بل أكتفى بذكر صفته؛ حتّى يعطي السّامع صورة ذهنيّة يصل إليها بنفسه، فيفكّر ويتدبّر بمن هو ذلك (الحافظ)، هل هو ملك أم إله أم ماذا؟، وهي الغايّة المبتغّاة في الردّ على الكافرين الذين أنكروا وكذّبوا بحفظ القرآن في لوح محفوظ، فجاء الردّ من الله سبحانه وتعالى بإثبات صفة (الحفظ) ليس للقرآن فحسب، بل شموليّة الحفظ لكلّ أعمال وأفعال النفس التي جعل فيها قابليّة لحفظ القرآن في الصدور وليس في اللوح المحفوظ في السماء.

لذا أتخذ الخطاب القرآنيّ من الفعل الذي فعله الله صيغة اسم الفاعل وجعله نعتاً، أو صفة له ملتصقة به، لِما لها من معنى الثبوت والدوام، حتّى تكون حجّة أو دليلاً أقوى إلى قبول النتيجة، وهي حفظ الله تعالى لكلّ شيء، (فاسم الفاعل من نماذج الوصف التي يُحاجِج المخاطِب بها؛ ليُسوّغ لنفسه إصدار الحُكم الذي يريد أن تنبني عليه النتيجة التي يرومها)[2].

وعليه فقد قامت هذه الصفات بدور حجاجيّ بالغ الأثر في الإقناع، فهي أوضحت الفكرة المقصودة التي تضمّنتها، ووجهة نظر الخطاب الإلهيّ وموقفه من إنكار الكافرين لحفظ القرآن، فجاءت لتؤكّد وتوضّح وتزيد في إثبات وجود الحافظ لكلّ ما خلق الله تعالى، فـ(الحافظ) هنا تعبير عن الفكرة المقصودة وهي إثبات قضيّة

(١) الحجاج مفهومه ومجالاته: ١/ ٨٩.

(٢) آليات الحجاج وأدواته: (بحث) ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته:١/ ٨٩.

البعث ورجعة الإنسان مع كلّ ما عمله وفعله في دنياه لكونه محفوظاً أقسم الله تعالى بحفظه، وهذا التأكيد هو تنبيه للإنسان لِما تستلزمه إرادة الله تعالى في محاسبة النفس بكلّ ما عليها والجزاء بما تقتضيه جزاء مؤخراً بعد الحياة الدنيا أي: بعد البعث في الحياة الآخرة[1].

وجاءت جملة جواب القسم ﴿**إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾[2] جملة أسميّة تأكيداً على إثباتها كحقيقة واقعة لا محالة، لدفع كلّ شكّ وإنكار في نفس السّامع، ومن ثمّ تنبيهه لِما يجب عليه فعله، وهي كذلك لزيادة التأكيد في تكذيب الكفار الذين أنكروا حفظ القرآن في لوح محفوظ، فجاء الخطاب القرآنيّ في جواب القَسم بما يستدل (به على حفظ القرآن عن التلبيس وعلى حفظ الإنسان، فذكر جوابه في حفظ النفوس التي جعل فيها قابلية لحفظ القرآن في الصدور، ودلّ على حفظ ما خلق لأجلها من هذه الأشياء المُقسم بها على حفظ الإنسان؛ لأنّها إذا كانت محفوظة عن أدنى زيغ وهي مخلوقة لتدبير مصالحه فما الظنّ به؟ فقال مؤكّداً غاية التأكيد لِما للكفرة من إنكار ذلك والطعن فيه: ﴿**إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾[3][4].

فـ(أنّه تعالى لمّا أقسم على أنّ لكلّ نفس حافظاً عليها يراقبها ويعدُ عليها أعمالها، فحينئذ يحقّ لكلّ أحد أن يجتهد ويسعى في تحصيل أهمّ المهمات)[5]. وهذا هو جوهر العمليّة الحجاجيّة في تنبيه السّامع وتوجيهه ودفعه إلى فعل إنجازيّ في المراقبة والتفكّر والتدبّر في معرفة أهمّ هذه المهمات (وقد تطابقت الشرائع والعقول على أنّ أهمّ المهمات

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٦٠أ والجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٢٠.

(٢) الطارق: ٤.

(٣) الطارق:٤.

(٤) نظم الدر: ٨/ ٣٨٦.

(٥) تفسير الرازي: ١٦/ ١٢٧.

معرفة المبدأ ومعرفة المعاد، واتفقوا على أنّ معرفة المبدأ مقدمة على معرفة المعاد، فلهذا السبب بدأ الله تعالى بعد ذلك بما يدل على المبدأ)[1].

وهذا ما جاء به الخطاب القرآنيّ بعد أنّ نبّه عليه في الآية السابقة، وهي تمثّل الحجج أو الأدلة على قدرة الله تعالى على الخلق، فـ(يستدل القرآن الكريم على المعاد في مقابل من يقول باستحالة المعاد: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾[2]؟، وبهذا أخذ القرآن الكريم بأيدي الجميع وأرجعهم إلى أوّل خلقهم، مستفهماً عمّا خلق منه الإنسان)[3].

أي: فليتفكّر من أيّ شيء خلقه ربّه، ففيه تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وكذلك إرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد؛ لأنّ من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريقة أولى[4]، (فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه إلّا ما يسرّه في عاقبته)[5].

فالرابط الحجاجيّ (الفاء) يقع في أبرز العلاقات الحِجاجيّة وهي العلاقة التفسِّيريّة، وأقدرها على توجيه سلوك المتلّقي؛ لأنّها ضَربٌ مخصوص من العلاقات التتابعيّة يحرص فيها المُحاجِج على ربط الأحداث والافكار ربطاً سببيّاً تفسيريّاً، فيتولّد عن ذلك استدلال مباشر للنتيجة[6].

فالرابط (الفاء) أكسب الحجّة قوّة للإقناع؛ لأنّها جاءت بالحجّة، أو السبب الذي قدَّمت النتيجة لأجله، ممّا يحمل المتلقي على قبولها، وليس ذلك فحسب، بل جاءت الجملة التي بعدها فعليّة؛ للدلالة على تجدُّدِ المعاني، واستمرارها في النّفس البشريّة[7]،

(١) المصدر نفسه: ١٦/ ١٢٧.
(٢) الطارق: ٥.
(٣) تفسير الأمثل:٢٩/ ١٩٦. وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٤٩.
(٤) ينظر: تفسير البغوي:٥/ ٢٣٩أ وتفسير ابن كثير:٤/ ٤٣٥أ وتفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٢.
(٥) البحر المحيط: ١٠/ ٤٥١أ وينظر: تفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٢. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٤٩.
(٦) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه:٣٢٧.
(٧) ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز: فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)٧٩-٨٠.

فهو يأمره بإمعان النظر واستمراه فيه لّعلّه يدرك ويتنبّه إلى الكيفية التي خلق بها، فيدرك عظمة الخالق ويذعن له ويقتنع بحقيقة ما يطرحه عليه من دلائل، فالخطاب بالجملة الفعليّة يجعل المتلّقي يتّجه بوجدانه نحو الحدث، ويتفاعل معه، ممّا يساعد على الإقناع[١]، فخلق الله تعالى للناس الماضين فعلٌ مضى، ولكنّه فعلٌ مستقبل مستمر ما بقيت الحياة البشريّة، فكلّ يوم يُخلَق الاف البشر، فلذا كان الخطاب القرآنيّ لفعل الخَلق بصيغة المستقبل؛ لـ(تُبيّن هيئة الفعل واستحضار صورته؛ ليكون السّامع كأنّه يشاهدها)[٢].

وعلى الرغم من أنّ التّخيّل يكمن كذلك في الفعل الماضي ألاّ أنّ ابن الأثير يُصرّح بأنّ المستقبل هو الذي يحرّك خيال المتلّقي، وذلك في قوله: (فإنّ قيل: إنّ الفعل الماضي أيضاً يتخيّل منه السّامع ما يتخيّله من المستقبل! قلت في الجواب: إنّ التخيّل يقع في الفعلين معاً، لكنّه في أحدهما وهو المستقبل أوكّد وأشدُّ تخيّلاً؛ لأنّه يستحضرُ صورة الفعل، حتّى كأنّ السّامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه)[٣].

وقد دخلت على الفعل المضارع (لام الأمر) فأكسبته طاقة حجاجيّة عالية، وهو أمر غير صريح، أي: ليس بصيغة الوجوب، أو اللزوم، بل على وجه الندب، إذ يكون فعله أو تركه لمصلحة أُخروية، أو الإرشاد الذي يكون فعله أو تركه لمصلحة دنيوية، وذلك بذكر العواقب والآثار المترتبة على ذلك الفعل[٤]؛ لذا أصبح فعل أمرٍ بالنظر والتدبّر فيما خُلِقَ منه. وهو أوّل فعل إنجازي وجّه اللهُ تعالى الإنسانَ إليه؛ لِما يحمل من معنى التدبّر والتفكّر بنظر فاحص لحقيقة خلقه أوّل مرة.

(١) ينظر: لغة الخطاب السياسي دراسة تطبيقية: ص٨٤.
(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:٢/ ١٨٥.
(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:٢/ ١٨٣.
(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ص٣٤٤.

فـ(لام) الأمر الداخلة على الفعل أكسبته قوّة عاليّة في استدعاء انتباه السّامع وشدّه لِمعرفة ما يؤمر به. فالأمر من الأفعال التي فيها إنجاز لأفعال معيّنة، لكنّه إنجاز ضمني؛ لأنّه يحمل معنى الدّعوة، ومن ثمّ تبدو صلته بالحجاج وثيقة؛ لأنّه يهدف إلى توجيه المتلّقي إلى سلوك معيّن تحدّده أطروحة المتكلّم ومبادؤه[1].

وهذا ما أراده الخطاب القرآني في توجيه مخاطبيه بعد تفكّرهم وتدبّرهم لكيفية خلق الله تعالى لهم ليقرّوا بإلوهيّته وإمكانيّة إعادتهم للحياة فيؤمنوا بحتميّة المعاد كما أقرّوا وآمنوا بحقيقة خلقهم. وليس ذلك فحسب بل جاء فعل النظر بالزمن الحاضر لِما يحمله من فاعليّة في استمراريّة الحدث وتجدّده، ومن ثمّ أصبح للقول قوّة إقناعيّة بالغة الأثر في تحريك النفوس وشدّ الأذهان فكأنّه ينظر في لحظته هذه لكيفية خلقه، ففعل النظر مستمر في معرفة حقيقة خلق الإنسان ومن أيّ شيء خُلق فجاء بصيغة السؤال؛ حتّى يحدث التفاعل بين المتكلّم والسّامع في إشراكه في معرفة الجواب والوصول إلى معرفة كيفية خلقه بنفسه فلا يكون له سبيل إلى ردّه أو الشكّ فيه.

فالاستفهام هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن[2]، لكنّ ماذا لوكان الاستفهام لا يراد به طلب الفهم، فيخرج لمعانٍ وأغراض أُخرى يحدّدها المقام والسياق الذي وردت فيه، وهذه المعاني مهما كان غرضها، فجوهرها فعل حجاجيّ كامن في التنبيه والتوجيه إليه، تاركاً المتلّقي يدرك بحسّه وفكره هذه المقاصد؛ حتّى يكون اقتناعه بها راسخاً في أعماق نفسه وعقله، فهي ممّا أدركه، واستنتجه بعد تفكّر، وتدبّر لسياق القول[3].

فبعد أن أثبت الله تعالى وجود الرقيب على الإنسان وحفظه له، (حثّه على النظر المعرّف لذلك مع أوصافه كأنّه قيل: فليعرف المهيمن عليه بنصبه الرقيب أو بنفسه،

(١) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه:١٤٩.

(٢) دلالات التراكيب:ص٢٠٤.

(٣) الحجاج في تحف العقول: ص ١٢٥

وليعلم رجوعه إليه تعالى، وليفعل ما يسّر به حال الرجوع)[1]، فهو توجيه حجاجيّ يدفع الإنسان إلى الإقرار بقضيّة المبدأ والمعاد، ومن ثمّ تحثّه على إنجاز أفعال تضمن له النجاة يوم البعث.

وبعد أن حثّ الإنسان على النظر في مبدأ خلقه هو نفسه، وكيف أنّه ذلك الماء الذي يتدفق من الأصلاب ليستقر في الرحم، ثمّ يكون خلقاً سوياً. فكان الاستفهام تقريراً له وتذكيراً وتنبيهاً للعظة والاعتبار والتعجيب من كمال قدرة الله تعالى وبديع صنعه وحسن تدبيره.

وجاء بالفعل (خُلِقَ) لِما لم يُسَمَّ فاعله، للتأكيد على زيادة الاهتمام بالحدث نفسه وتنبيه السّامع إلى التفكّر بكيفية حدوث هذا الخلق ونشأته في أوّل مرة[2]. ثمّ أتّبعه بنتيجة تمثّل جواباً على السؤال فقال تعالى: ﴿**خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ* يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**﴾[3]، أي: خُلِقَ من المنيّ المتدفق، الذي ينصب بقوّة وشدّة في رحم المرأة، يتدفق من صلب الرجل وترائب المرأة أي: عظام الصدر والنحر لها، فيتكوّن منه الولد بإذن الله تعالى[4].

وقد تكرّر لفظ (خُلِق) في سياق السؤال والجواب، للتنبيه على قضية (الخلق)، وجاءت بصيغة المبني للمجهول للتركيز على الحدث نفسه دون ذكر فاعله هو الغايّة المقصودة في ذلك لكون (ضابط البناء للمفعول أن يكون الغرض إنّما هو إعلام بوقوع الفعل ولا غرض في إبانة الفاعل من هو)[5]. فهذا البناء هو بناء حجاجيّ في جوهره ويكاد يختص به في الخطاب القرآنيّ أجمع كونه يُثبت قضية (الخلق) ويعظّم شأنّها لتكون

(١) روح المعاني:١٦/ ١٧٣.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: ٤/ ٣٥٦.

(٣) الطارق: ٦-٧.

(٤) ينظر: تفسير البغوي: ٥/ ٥٤٥أ وصفوة التفاسير: ٣/ ٥٤٥. وتفسير الأمثل:٢٩/ ١٩٦. و تفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٢. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٤٩.

(٥) المحتسب: ١/ ٦٥.

دليلاً على إثبات قضية (البعث) التي طالما أنكرها الكافرون. لذلك جاءت في مدار السؤال والجواب[١]؛ لِما لهما من قوّة في إثارة التّفاعل وتحقّق الإقناع بمعرفة حقيقة ما سُئِل عنه. فحدوث الإنسان إنّما كان لعلّة اجتماع أجزاء متفرقة في بدني الوالدين، فلّما قدّر الصانع على جمع تلك الأجزاء المتفرقة حتّى خلق منها إنساناً سوياً، وجب أن يقال: إنّه بعد موته وتفرّق أجزائه لا بدّ وأن يقدر الصانع على جمع تلك الأجزاء وجعلها خلقاً سوياً كما كان أوّلاً، ولهذا السرّ لما بيّن تعالى دلالته على المبدأ، فرّع عليه أيضاً دلالته على صحّة المعاد، فقال تعالى:﴿**إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ**﴾[٢][٣]. أي: إنّه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق قادر على إعادته وبعثه إلى دار الآخرة؛ لأنّه من قدر على البداءة قدر على الإعادة[٤].

فهذه الآية تمثّل نتيجة نستنتجها من قدرة الله تعالى على الخلق أي: قضيّة المبدأ، فالذي خلق قادر لا محالة على إعادة بعث خلقه بعد موتهم، وأكّدت ذلك بمؤكّدين هما (إنّ) و (اللام)، فزيادة في المباني زيادة في المعاني، وفي تأكيد هذه النتيجة هو زيادة التنبيه والتوجيه للتفكّر بِما يكون عليه حاله في رجعته، فالتوكيد لجملة الخبر الابتدائيّ مرتين أو أكثر هو توكيد مضاعف[٥]. وأكّد ذلك بالمؤكّد (إنّ) لقطع الشكّ والإنكار في نفوس هؤلاء الكفار أو السّامعين عامّة، فحرف التوكيد (إنّ): تُعدّ الأصل في توكيد الجملة الخبريّة، وتنماز بأنّها تربط الجملة الثانيّة بالأوّلى، وبسببها يحصل التأليف بينهما حتّى كأنّ الكلامين قد أُفرغا إفراغاً واحداً، ولو أسقطتها ظهر التنافر بينهما وبطلت الملاءمة[٦].

(١) ينظر: الحجاج في القرآن: ص ٣٩٥.

(٢) الطارق: ٨.

(٣) البحر المحيط: ١٠/ ٤٥١.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٣٥، وتفسير الطبري:١٥/ ١٨٢، وتفسير الأمثل:٢٩/ ١٩٨. و تفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٢٣.

(٦) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الاعجاز:٢/ ١٧٦.

وزاد ذلك التأكيد في ثبوت الرجعة دخول (لام التوكيد) على الصفة، فالصفة توكيد كذلك في توثيق القدرة وتحقّقها، وقد قال ابن يعيش: (قد تجيء الصفة للتأكيد نحو قولهم: أمس الدابر، وأمس لا يكون إلّا دابراً... ومعنى التأكيد هنا أنّ مدلول الصفة استفيد ممّا في الموصوف فصار ذكره في الصفة كالتكرار)[1].

وعليه فإنّ الصفة (قادر) أكّدت قضية الرجعة أو البعث ورسّختها كحقيقة ثابتة لا سبيل لإنكارها. وأصبحت دليلاً يؤكّد قضيّة المبدأ وخلق الإنسان، وهي حقيقة مؤكّدة أكّدت بدورها على تحقّق المعاد وعليه فإنّ بثبوتها وتحقّقها مهدت لثبوت وتحقّق القضيّة التي بعدها؛ فإنّ (وراء هذه اللمحة الخاطفة عن صور الرحلة الطويلة العجيبة بين الماء الدافق والإنسان الناطق، حشود لا تحصى من العجائب والغرائب، في خصائص الأجهزة والأعضاء،...، تشهد كلّها بالتقدير والتدبير، وتشي باليد الحافظة الهاديّة المُعينة. وتؤكّد الحقيقة الأوّلى التي أقسم عليها بالسّماء والطارق. كما تمهّد للحقيقة التاليّة. حقيقة النشأة الآخرة التي لا يصدّقها المشركون، المخاطبون أوّل مرة بهذه السّورة)[2].

فهذه الحجّة أقوى من سابقتها في ترسيخ قضيّة البعث بما تحمله من مؤكّدات لغويّة حجاجيّة وهي (إنّ، واللام، والصفة)، فهي نهضت بوظيفة حجاجيّة تتمثّل في تقديم قضيّة البعث إلى السّامع وفرض حقيقتها عليه بِعدِّها مسلّمات ومقتضيات غير قابلة مبدئيّاً للنقاش والمجادلة على الرغم من أنّها في صميم النقاش والجدل الدائرين بين القرآن وخصومه[3].

فأصبحت قضيّة البعث قضية لا جدال فيها. فهذه الحجّة والتي قبلها تثبت قضيّة المبدأ والبعث، وما يترتب على وقوعهما، فتأتي بعدها حجّة أخرى تزيد في تفسير وبيان

(١) شرح المفصّل: ٣/ ٤٨.
(٢) في ظلال القرآن: ٨/ ٥٣٧.
(٣) ينظر: الحجاج في القرآن: ص ٢٩٩-٢٣٠.

ما يحدث في يوم البعث، فهي لها قوّة إقناعيّة من خلال إحداث الأثر في نفس السّامع وفكره لِما يحدث يومها، فتصف له ما يحدث في ذلك اليوم الذي سيرجع فيه، فقال تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ* فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ**﴾[1]. أي: يوم القيامة تظهر الخبايا ويختبر الله تعالى أعمال الإنسان وما أسرَّ في قلبه من العقائد والنيات، وما أخفى من الأعمال، فيميز الخبيث من الطيب منها[2].

فحينها تكون النتيجة: ﴿**فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ**﴾[3]، أي: (فما للإنسان الكافر يومئذ من قوّة يمتنع بها من عذاب الله تعالى، وأليم نكاله، ولا ناصر ينصره، فيستنقذه ممّن ناله بمكروه، وقد كان في الدنيا يرجع إلى قوّة من عشيرته، يمتنع بهم ممن أراده بسوء، وناصر من حليف ينصره على من ظلمه واضطهده)[4]. فجاء بالرابط (الفاء) التي (تربط بين قضيتين غير متباعدتين)[5]، فقضيّة المبدأ والمعاد هي قضايا مترابطة متصلة ببعض.

فهذه الحجج المتتابعة لها غاية حجاجيّة واحدة هي توجه السّامع وتدفعه بإنجاز فعل الإقرار أو الإيمان بالله تعالى الذي خلقهم ومن ثمّ يبعثهم من جديد، وما يلزمه هذا الإقرار من إنجاز فعل الطاعة لله تعالى في ما أمر ونهى، (فهذه النشأة البالغة الدّقة والحكمة تذهب كلّها عبثاً إذا لم تكن هناك رجعة لتُختَبر السرائر وتُجزَى جزاءها العادل ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**﴾[6]...

(١) الطارق: ٩-١٠.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٦/ ١٧٧. وتفسير الخازن: ٧/ ٢٣٣. وتفسير الأمثل: ٢٩/ ١٩٨-١٩٩. وتفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٢. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٤٩.

(٣) الطارق: ١٠.

(٤) تفسير الطبري:١٥/ ١٨٤. وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٥٠.

(٥) الحجاج في كتاب(المثل السائر): ص٩٠.

(٦) الطارق: ٩.

فكذلك تبلى السرائر يوم يتجرّد الإنسان من كلّ قوّة ومن كلّ ناصر: ﴿ **فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ** ﴾[1][2]. وليس ذلك فحسب بل جاءت هذه الجمل الإسمية بأسلوب النفي؛ لِما له من علاقة وثيقة جداً بالحجاج؛ لكون هذا الأسلوب في أصله إنّما يبنى على التعبير المخالف لاعتقادات الآخر وآرائه وأفكاره التي يريد إثباتها (إثباتاً يتصل بالعالم الخارجي)، وهو قيدٌ مهم في العمليّة الحجاجيّة[3].

لذا جاءت هذه الحجّة تنفي ما يعتقده المشركون من وجود القوّة والنّاصر لهم، فهذا النفي له قيمة حجاجيّة في التأثير في نفس السّامع، فقد نفت عنه القوّة والنصرة وأثبتت نقيضهما وهو الضعف والوحدة، فالإنسان يوم المعاد يكون ضعيفاً لا يقوى على هول ذلك اليوم فلا يحمل تبعات عمله في حياته الأوّلى أحداً غيره، فيكون وحده الذي يحاسب على أفعاله في الدنيا.

فهذا الخطاب موجّه لكلّ الخلق؛ فيوم البعث، هو يوم يجازى فيه الإنسان على ما فعل في دنياه من خير أو شرّ. فهذا القول يحمل قوّة حجاجيّة عاليّة في تنبيه السّامع وإقناعه لفعل إنجازيّ يضمن له النجاة في الحياة الآخرة، فيراقب نفسه فيما يفعل في دنياه لأنّه سيلاقي تبعاته هناك. وهذا ما أكّدته ونبهت عليه الحجّة أو الآية التي سبقتها ﴿**إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾.

وبعد أن تضمنت الآيات أو الحجج السابقة دليلاً على المعاد لغاية توجيه الإنسان إلى بداية خلقه، يعود الخطاب القرآنيّ في الآيات التي بعدها إلى المعاد مرة أخرى؛ ليشير إلى بعض الأدلّة الجديدة لتقوّي سابقتها فيقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[4] أي:

(١) الطارق: ١٠.

(٢) في ظلال القرآن: ٨/ ٥٣٧. وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٥٠.

(٣) ينظر: الدفاع عن الأفكار: ص ١٩٠.

(٤) الطارق: ١١.

ذات المطر، ومعنى الآية: رجوع السماء بالمطر كلّ عام الذي هو رزق العباد فلولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم[١].

وبعد أوضحّ وأثبت الخطاب القرآنيّ حقيقة المبدأ والمعاد في الآيات الآنفة الذكر، فـ(اقتضى الحال الإقسام على حقيقته فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾[٢] أي: التي كان المطلع الإقسام بها ووصفها بما يؤكّد العلم بالبعث الذي هو منبع العلوم والتّقوى، فعليه مدار السعادة فقال تعالى: ﴿**ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾[٣][٤]. فالله سبحانه لّما فرغ من ذكر التوحيد والمعاد، أعقبه بقسم آخر فقال تعالى: ﴿**وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾[٥].

فهذه الآية هي توكيد لِما جاء قبلها. فحتّى يقطع كلّ شكّ أو بقية من ريب في نفوس هؤلاء الكفّار في أنّ هذا البعث كائن، جاء بما يرسّخ حدوثه ويجزم بأنّ واقع لا محالة. فالقَسَم شكلاً من أشكال التواصل بين أطراف الخطاب[٦]، وأسلوب من أساليب القول التوكيديّة، فهو أسلوب قوي جداً يهزّ النفس ويحرّك المشاعر[٧].

أمّا قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[٨] أي: ما تتصدّع عنه الأرض من النبات، وأصله الشقّ[٩]. ومن (ملاحظة معنى (الرّجع) في الآية السابقة، نصل إلى أنّ مراد الآية بالصدع هو شقّ الأرض اليابسة بالأمطار، وخروج النباتات منها)[١٠]. فالله

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٥/ ١٨٥أ وتفسير ابن كثير:٤/ ٤٣٦. وتفسير الأمثل:٢٩/ ٢٠٠. و تفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٢. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٥٠.

(٢) الطارق: ١١.

(٣) الطارق: ١١.

(٤) نظم الدرر: ٨/ ٣٩٠.

(٥) ينظر: تفسير النسفي: ١٦/ ١٣١.

(٦) ينظر: التداولية في التفكير البلاغي: ص١٢٩.

(٧) ينظر: القسم في اللغة وفي القران: ص٩.

(٨) الطارق: ١٢.

(٩) ينظر: روح المعاني: ١٦/ ١٧٩. و تفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٢. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٥٠.

(١٠) تفسير الأمثل: ٢٩/ ٢٠٠. و تفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٢.

تعالى أقسم بالسّماء التي تفيض علينا الماء، وبالأرض التي تخرج لنا الثمار والنبات. فصارت السماء للخلق كالأب، والأرض لهم كالأم، ومن بينهما تتولّد النعم العظيمة التي بها بقاء الإنسان والحيوان على قيد الحياة[١]. فالمُقسم به يكون بأمر جليل دائماً، أو بما يعظمه المُقسم به، أو بأمر يجلّه[٢]؛

وجاء القسم بهذه النعم العظيمة بصورة متعاقبة بوساطة الرابط (الواو)، فـ(الواو) (تفيد التعقيب والترتيب بضمن التشكيل الخطابيّ)[٣]، فالخطاب القرآنيّ جاء بحججه في تراتبية من حيث قوّة التأثير في النفس والعقل، فأقسم بالدلائل الواضحات في العالم العلوي وهي السماء والنجم؛ لعظم أثره وعلّو شرفه، ثمّ اتبعه بالدلائل الظاهرات في العالم السفلي وهي الأرض، فأقسم بها فقال تعالى: ﴿**وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾[٤]، أي: مسكنكم الذي أنتم ملابسوه ومعانوه كلّ وقت وملامسوه، هذه التي تتصدَّع وتنشق، فيخرج منها النبات والعيون بدأً وإعادةً، هي دليل ظاهر على البعث.

فجمع الله تعالى بالقسم العالم العلوي الذي هو كالرجل والسفلي الذي هو كالمرأة، فكما أن الرجل يسقيها من مائه فتصدع عن الولد، فكذلك السماء تسقي الأرض فتتصدع عن النبات، وكما أنّها تتصدّع عن النبات بعد فنائه وصيرورته رفاتاً فيعود كما كان، فكذلك تتصدّع عن الناس بعد فنائهم فيعودون كما كانوا بإذن ربها من غير فرق أصلاً[٥].

وعليه (فالسورة قد استندت إلى المقارنة بين خلق الإنسان من نطفة وبين إحياء الأرض الميتة بالأمطار)[٦]. فالتركيز على آلية القسم في توكيد وتوثيق هذه القضايا لِما لها

(١) ينظر: صفوة التفاسير: ٣/ ٥٤٦.
(٢) ينظر: الخطاب الإلهي للنبي(ص): رسالة ماجستير: ص٧٠ .
(٣) الخطاب الأنثوي في سورة النمل(بحث): ص٢٩٣.
(٤) الطارق: ١٢.
(٥) ينظر: نظم الدرر: ٨/ ٣٩١. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٥٠.
(٦) تفسير الأمثل: ٢٩/ ٢٠٠.

من دور مهم في إثبات القضايا التي يدخل عليها وفي توجيهها توجيهاً يحمل السّامع على تصديقه والاقتناع به[١]. وهو ما جاء في جواب القسم بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[٢]، أي: القرآن، فإنّه لقول فاصل بين الحقّ والباطل قد بلغ الغايّة في ذلك[٣]، أي: قول حقّ، حكم عدل[٤].

فهنا جاء جواب القسم الذي جيء بالقسم لأجل إثباته وتوكيده وهو أنّ القرآن حقّ لا ريب فيه، وأكّده كذلك بمؤكدين آخرين لرفع كلّ شكّ ودحض كلّ إنكار؛ لتنبيه السّامع إلى ما يجب عليه فهمه وفعله. فـ(التأكيد تابع يقرّر المتبوع في النسبة والشمول)[٥]. فكما أنّ المبدأ والمعاد حقيقة ثابتة كائنة من عند الله تعالى وحده، فكذلك هذا القرآن هو قول حقّ من عند الله تعالى وحده.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[٦]، أي: (ليس في شيء منه شائبة هزل، بل كلّه جد محض، فمن حقّه أن يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة)[٧].

وبعد أنّ أكد الخطاب القرآنيّ قضيّة المبدأ والمعاد وما يترتب عليهما من المحاسبة والجزاء، اتجه الخطاب إلى النبيّ ﷺ ومن معه من القلّة المؤمنة في مكة ممّن يعانون من كيد المشركين ومؤامراتهم على الدعوة الإسلاميّة، إذ كانوا في تخطيط مستمر للكيد لها والتدبير ضدها. فخاطبه الله تعالى فيما يثبت أمره ويحقّق إرادته سبحانه، وإنّه محيط بكلّ ما يمكرون، لتطمين النبي ﷺ والمؤمنين معه فقال تعالى:

---

(١) ينظر: الحجاج في القرآن: ص ٣٢١.

(٢) الطارق:١٣.

(٣) ينظر: روح المعاني:١٦/ ١٧٩ وتفسير النسفي: ٤/ ٣٤٨ وتفسير البغوي: ٥/ ٢٤٠. وتفسير الأمثل:٢٩/ ٢٠١. وتفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٣. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٥٠.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير:٤/ ٦٠٥.

(٥) شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب: ٢/ ٣٥٧.

(٦) الطارق:١٤.

(٧) روح المعاني:١٦/ ١٧٩. و تفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٣. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٥٠.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا* وَأَكِيدُ كَيْدًا* فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[1].

فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾[2]، أي: إنّ كفار أهل مكة يدبرون المكايد العظيمة في الخفاء التي في قدرتهم من أجل إبطال أمر الله تعالى وإطفاء نور الحقّ الذي جاء به النبيّ محمّدﷺ[3]. والكيد: ضرب من الاحتيال والتغلب على المشاكل بتهيئة المقدّمات، وفيه جنبة خفيّة، وهو مذموم لو كان من جهة الكفّار، فالمقصود منه في هذه الآية هو كيد أعداء الله تعالى وأعداء رسولهﷺ كما هو واضح[4].

أمّا قوله تعالى: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[5]، وهنا الكيد ممدوح فهو كيد إلهيّ، أي: أُقابلهم بكيد متين، فكيد الله تعالى هو استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون[6]. بمعنى أنا أخطط لإحباط خططهم من جهة أخرى[7]. فمعنى الآية مرتبط بما قبلها أي: (إنّهم أي: الكافرون، يكيدون: أي في إبطال أمر الله تعالى وإطفاء نور الحقّ، وأكيد: أي أجازيهم على كيدهم، فسمّى الجزاء كيداً على سبيل المقابلة)[8].

فكرّر الخطاب القرآنيّ لفظ (الكيد) عدّة مرات، لِما للتكرار من وظائف خطابيّة، كالإفهام، والافصاح، والكشف[9]، إذ (إنّ أسلوب التكرار اللفظي قادرٌ على الاضطلاع بدور حِجاجيّ هام؛ متى اعتمد في سياقات محدّدة وتوفرت فيه شروط

(١) الطارق: ١٧.

(٢) الطارق: ١٥.

(٣) ينظر: روح المعاني:١٦/ ١٨٠. وتفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٣. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٥٠.

(٤) ينظر: تفسير الأمثل:٢٩/ ٢٠٢. وتفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٣.

(٥) الطارق: ١٦.

(٦) ينظر: روح المعاني:١٦/ ١٨٠أوتفسير البغوي:٥/ ٢٤٠. ومجمع البيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٥٠.

(٧) ينظر: تفسير الأمثل:٢٩/ ٢٠٢. وتفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٣.

(٨) البحر المحيط: ٨/ ٣٤٢.

(٩) ينظر: البيان والتبيين:١/ ١٠٤-١٠٥.

معيّنة)[١]. فالتكرار من التقنيات الحجاجيّة التي يستند إليها المتكلّم لتأكيد اطروحته التي يدعو السامع إليها، إذالتكرار هنا ولّد بنيات لغويّة جديدة، وضمن انسجام النصّ وتناميه[٢].

أمّا قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[٣]، فالله تعالى في هذه الآية يأمر نبيّه ﷺ بأن يُمهل الكافرين ولا يتعجل عذابهم، وأن يتمّ الحجّة عليهم، فعسى أن يعود بعض منهم إلى رشده ويُسلم[٤]. والمعنى أي: مهّل يا محمّد الكافرين، ولا تعجل عليهم، أمهلهم آناً قليلاً – أي مدّة قليلة من الزمن– وأنظرهم للموعد الذي هو وقت حلول النقمة بهم[٥].

فالآية شرعت بـ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾[٦] فيما أكدّت ذلك بقوله تعالى: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾[٧]، فالأوّل من باب (التفعيل) والثّاني من باب (الإفعال)، وقد جاء للتأكيد دون تكرار اللفظ بعينه، أمّا قوله تعالى: ﴿ رُوَيْدًا﴾[٨]، فهو التردد في طلب الشيء برفق، وهنا لها معنى مصدري مع التصغير، أي: أمهلهم مهلة قصيرة، فـ(رويداً) منصوبة صفة لمفعول مطلق[٩].

والمفعول المطلق هو من الصيغ التي تفيد التوكيد، و (الفاء) لها دور حجاجيّ؛ إذ ربطت السابق باللاحق، فربطت الحجّة في الآية السابقة بالنتيجة التي في الآية التي

(١) الحجاج في الشعر العربي– بنيته وأساليبه–:١٦٨

(٢) ينظر: اللغة والحجاج: ص ٤٨.

(٣) الطارق: ١٧.

(٤) تفسير الأمثل:٢٩/ ٢٠٣. وتفسير الكشّاف: ٣/ ٥٥٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري:١٥/ ١٨٨.

(٦) الطارق: ١٧.

(٧) الطارق: ١٧.

(٨) الطارق:١٧.

(٩) تفسير الأمثل:٢٩/ ٢٠٣. وتفسير النسفي:٤/ ٣٤٨.

تليها. لذا جعل الله تعالى من الإمهال حجّة ختم بها خطابه مع النبيّ ﷺ مكرّراً لها بصيغ لفظيّة مختلفة، لِما له من وظيفة حجاجيّة في توكيد الكلام، وتقرير المعنى وإثباته في نفس السّامع[1]، فكشف الله تعالى عن اهتمامه بالجزء المقصود بها أي: (الإمهال)، وكرّره مع ذكر مدّته فهو إمهال قصير المدّة؛ لِما لتكرار ذلك من دلالة نفسيّة قيّمة تحدث التأثير المقصود في نفس المخاطَب[2].

فقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[3] كأنّه هو ﷺ صاحب الأمر وصاحب الإذن وكأنّه هو الذي يأذن بإمهالهم أو يوافق على إمهالهم. وليس من هذا كلّه شيء للرسول إنّما هو الإيناس والودّ في هذا الموضع الذي تتسم نسائم الرحمة على قلبه ﷺ الإيناس الذي يخلط بين رغبة نفسه وإرادة ربّه، ويشركه في الأمر كأنّ له فيه شيئاً. ويرفع الفوارق والحواجز بينه وبين الساحة الإلهيّة التي يقضي فيها الأمر ويبرم... وكأنّما يقول له ربّه: إنّك مأذون فيهم. ولكن أمهلهم. أمهلهم رويداً... فهو الود العطوف والإيناس اللطيف، يمسح على الكرب والشدة والعناء والكيد، فتنمحي كلّها وتذوب ويبقى العطف الودود[4].

وبهذا أوصى الله سبحانه وتعالى نبيّه ﷺ بإمهال ومداراة الكافرين، وهو في الوقت نفسه فعل حجاجيّ توجيهيّ يوجّه الله تعالى فيه المسلمين كافّة إلى فعل إنجازيّ متمثّل بِما ينبغي العمل به عند مواجهة الأعداء أو الخصوم، فلابدّ من الصبر والتأني والدقّة في حساب خطوات المواجهة وعدم التسرّع في ردّ الفعل وتنفيذ القرارات غير المدروسة، فتبليغ الرسالة ودعوة الناس إلى الحقّ لا بدّ فيها من تجنب العجلة والتسرّع حتّى تتاح

(١) ينظر: النصّ الحجاجي العربي- دراسة في وسائل الإقناع(بحث): ص٦٢.
(٢) ينظر: الحجاج في تفسير الكشاف: ص ١٠٣.
(٣) الطارق:١٧.
(٤) ينظر: ظلال القرآن: ٨/ ٥٣٩.

الفرصة لكلّ من يمكن هدايته، فلابدّ من دعوة الناس إلى الإسلام بكلّ لطف وسعة صدر مع الدليل القاطع، وبهذا تتمّ الحجّة على الآخرين[1].

والمعنى العام لهذه الآيات أي: إنّ هؤلاء الذين خلقوا من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب بلا حول ولا قوّة ولا قدرة ولا إرادة ولا معرفة ولا هداية. والذين تولتهم يد القدرة في رحلتهم الطويلة.

والذين هم صائرون إلى رجعة تبلى فيها السرائر، حيث لا قوّة لهم ولا ناصر ينصرهم، إنّهم هؤلاء يكيدون كيدا. وأنا أنا المنشئ الحافظ الموجّه المعيد المبتلي القادر القاهر، خالق السماء والطارق وخالق الماء الدافق والإنسان الناطق، وخالق السماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع،... أنا الله... أكيد كيداً... فهذا كيد، وهذا كيد، وهذه هي المعركة... ذات طرف في الحقيقة... وإن صوّرت ذات طرفين لمجرد السخريّة والاستهزاء![2].

(١) ينظر: تفسير الأمثل: ٢٩/ ٢٠٣.

(٢) ينظر: ظلال القرآن: ٨/ ٥٣٨.

النتائج

بعد دراسة التقنيات الحجاجيّة في سورة الطارق توصّلنا لعدّة نتائج نلخصها بالآتي:

١) إنّ القضية الأساس التي وظّفت لأجلها التقنيات الإقناعيّة التي تؤكّدها هي قضية البعث، والدعوة إلى الإيمان به والتسلّيم لحدوثه، وانطلقت من قضية مسلّم بها ومتّفق عليها وهي قضيّة الخلق، فالذي استطاع أن يخلق أوّل مرة لا شكّ أنّه قادر على بعث مخلوقاته بعد موتها وإعادتها للحياة مرة أخرى.

٢) كان للقسم دور بارز وفعال في تحقّق الإقناع وإثبات قضيّة البعث أو المعاد؛ لِما يحمله من تأثير في النفس ودفع للشكّ، وكذلك إثبات حفظ أعمال الإنسان وأفعاله. ومن ثمّ فقد حقّق القسم فعاليته الحجاجيّة بقوّة، إذ دفع السّامع إلى التسلّيم بِما جاء لأجله القسم.

٣) كان للروابط الحجاجيّة الأثر الإقناعيّ بربطها بين الحجج أو الأدلة التي سيقت لإثبات قضيّة الخلق والبعث في سلّمية تراتبيّة من حيث القوّة والضعف لتؤدي دورها في تحقّق الإقناع.

٤) أمّا الاستفهام فقد كان من أشدّ التقنيات الحجاجيّة قوّة فقد نبّه الفكر للتفكر في هيئة الخلق وكيفية حدوثه ممّا حثّ العقل لإدراك هذه القدرة العجيبة للخالق وعظمة خلقه وتحقّقها.

٥) كذلك كان للتوكيد بأنواعه المختلفة الأثر البالغ في إبراز الحجج وكسبها القوّة الحجاجيّة في الإقناع، ومن ثمّ إثبات قضيّة الخلق والبعث، وحثّ السّامع على الإيمان بها ودفعه لإنجاز فعل الطاعة لله تعالى والعمل بما أمر به، فإنّه سيجد عمله محفوظاً حين بعثه فيجازى به، وبهذا تكون التقنيات الحجاجيّة في سورة الطارق أدّت دوراً فعّالاً إنجازيّاً في الإقناع والتسلّيم، ومن ثمّ العمل بما يقتضيه ذلك التسلّيم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة: عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، ط١، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ٢٠٠٤م.
- أسلوبية الوصف والحوار: د. عامر حلواني، مطبعة التسفير، تونس، ط:١ لسنة ٢٠٠٣م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل: للعلّامة ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأوّلى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
- أهمّ نظريّات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم: فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمَّود، منشورات كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة، جامعة منوبة- تونس (د-ت).
- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، طبعة دار الفكر ١٤١٣هـ.
- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٧، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملّقب بمرتضى الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.
- التحرير والتنوير: طاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس لسنة ١٩٨٤.
- التداوليّة عند علماء العرب: مسعود صحراويّ، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- التداوليّة في التفكير البلاغيّ- دراسة في (غرر البلاغة) لهلال بن محسن الصابئ (ت٤٤٨هـ): د. قالط بن حجي العنزيّ، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن،٢٠١٤.

- تفسير البغوي (معالم التنزيل): أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد بن الفراء البغوي الشافعي، ط: دار إحياء التراث العربي ٢٠٠٢م.
- التفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: د.عبد العظيم إبراهيم المطعنيّ، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط٣، ٢٠١١م.
- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل): علاء الدين علي بن محمد بن أبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، ط: دار النشر، دار الفكر بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ط: الاولى- دار ابن حزم لسنة ٢٠٠٤م.
- تفسير القرآن الكريم: لأبي الفداء إسماعيل المعروف بابن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية لسنة ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩م.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لشمس الدين المعروف بالقرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية لسنة ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: الإمام أبو عبد الله محمّد بن عمر فخر الدين الرازيّ (ت٦٠٤هـ)، طبعة المكتبة التوفيقية – القاهرة.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي، طبعة دار الكتاب العربي – بيروت.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، ط: دار ابن حزم، ٢٠٠٤م.
- الحجاج في الشعر العربيّ القديم من الجاهليّة إلى القرن الثّاني الهجريّ- بنيته وأساليبه: د. سامية الدريديّ، ط٢، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

- الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة: د. عبدالله صولة، الطبعة الثّانية،٢٠٠٧م، دار الفارابيّ- بيروت، كلية الآداب والفنون والإنسانيّات منّوبة، ودار المعرفة للنشر- تونس.
- الحجاج في تحف العقول لابن شعبة الحرّانيّ (ت٣٨١هـ): وسن هاشم عودة، دار ومكتبة عدنان، العراق – بغداد، الطبعة الأوّلى لسنة ٢٠٢١م.
- الحجاج في كتاب (المثل السائر) لأبن الأثير (رسالة ماجستير): نعيمة يعمرانن، كلية الآداب واللغات قسم الأدب العربيّ، جامعة مولود معمري، الجزائر، لسنة ٢٠١٢.
- الحجاج مفهومه ومجالاته: إعداد وتقديم: د. حافظ إسماعيل علوي، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- الخطاب الإلهي للنبي (ص): رسالة ماجستير: عمر خليل، جامعة الموصل لسنة ٢٠٠٥م.
- الخطاب الأنثوي في سورة النمل (بحث): د. آلاء طارق، مجلة التربية والعلم:٢٩٣.
- الدفاع عن الأفكار- تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري- د. محمّد بن سعد الدكان، مركز إنماء للبحوث والدراسات، بيروت – لبنان، الطبعة الأوّلى ٢٠١٤.
- دلالات التراكيب- دَراسَة بلاغيّة-: د. محمّد محمّد أبو موسى، الناشر: مكتبة وهبة، دار التضامن. الطبعة الثّانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: محمّد الآلوسي البغدادي أبو الفضل، طبعة دار الفكر _ لبنان، ١٦/ ١٦٩.
- شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب: رضي الدين الاستراباديّ، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، ط٢، ١٩٩٦م.

- ❖ شرح المفصل: موفق الدّين يعيش ابن علي بن يعيش النحويّ (ت٦٤٣هـ)، (د- ط)، عالم الكتب، بيروت، (د- ت).
- ❖ شرح كتاب الحدود في النحو: الفاكهي، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ط٢، ١٩٩٣م.
- ❖ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- ❖ صفوة التفاسير: الشيخ محمّد علي الصابوني، طبعة دار الرشاد ١٩٨٨م.
- ❖ الطِّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: الإمام يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلويّ (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط١، دار الكتب العلميّة، لبنان، ١٩٩٥م.
- ❖ عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج): د. عبد السلام عشير، (د- ط)، أفريقيا الشرق؛ الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٦م.
- ❖ في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: د. طه عبد الرحمن، ط٣، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٧م.
- ❖ في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧١م.
- ❖ القسم في اللغة وفي القران: محمد المختار السلامي: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م- بيروت.
- ❖ كتاب سيبويه: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت ط:١، لسنة ٢٠١٠م.
- ❖ الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨هـ)، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظريّة الاتصال: د. محمود عكاشة، الطبعة الأولى لدار النشر للجامعات،٢٠٠٥م.
- اللغة والحجاج: د. أبو بكر العزاويّ، ط١، ٢٠٠٦، الدار البيضاء – المغرب.
- اللمع في العربية: لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ) تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير ضياء الدين (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، قدّم له وحققّه وعلّق عليه: د.أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، ط ٢، منشورات دار الرفاعي – الرياض.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العالمية بيروت – لبنان.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي، ط: دار الكتاب العربي – بيروت.
- مقاربة تداوليّة لحكمة عطائيّة (بحث): د. عز الدين الناجح، مجلة خطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري – تيزي وزو، الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، العدد الثالث ٢٠٠٨.
- موسوعة لالاند الفلسفيّة: لالاند اندريه، تحقيق: خليل أحمد، منشورات عويدات، لبنان- بيروت – ط١، ٢٠٠١م.
- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمّد حسين الطباطبائيّ، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.
- النصّ الحجاجيّ العربيّ دراسة في وسائل الإقناع: محمّد العبد، مجلة فصول، العدد ٦٠، لسنة ٢٠٠٢م.

- النظريّة الحجاجيّة من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللسانيّة: محمّد طروس، دار الناشر الثقافيّة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تح: عبد الرزاق غالب مهدي، دار الكتب العلمية – بيروت- ١٤١٥هـ.
- نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز: فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، حققّه وعلّق عليه: د. نصر الله حاجي، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
- الوصف في النصّ السردي، بين النظريّة والإجراء: د. محمد نجيب العمامي، دار محمّد علي الحامي، تونس ط:١ لسنة ٢٠١٠م.
- الوصفيّة مفهومها ونظامها في النظريات اللسانية: د. رفيق بن حمودة، دار محمد علي الحامي، تونس، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية سوسة تونس ط:١ لسنة ٢٠٠٤م.